إطلاقات معنى التقوى في القرآن الكريم



التقوى تُطلَّق في القرآن الكريم على عدد من الأُمور:

تأتي بمعنى التوحيد والإيمان، من ذلك قوله سبحانه: (و َأَ لَا ْز َم َه ُم ْ كَلَم َة َ التّ َق ْو َى) (الفتح/ 26)، قال الطبري: هي لا إله إّلا ا□ محمّد رسول ا□، وقال مجاهد: كلمة التقوى (الإخلاص)، ونحو هذا قوله سبحانه: (أُ ول َئَ لُكَ الّ َذ ِين َ ام ْت َح َن َ ا□ ُ ق ُل ُوب َه ُم ْ ل ِلتّ َق ْو َى) (الحجرات/ 3)، أي: أخلص قلوبهم لتوحيده.

وتأتي بمعنى الإخلاص، من ذلك قوله تعالى: (و َم َن° يهُع َظ ِسّم° ش َع َائرِرَ ا□ِ فَإِنَّهاَ م ِن° ت َق ْو َى ال ْقهُلهُوب ِ) (الحجّ / 32)، أي: م َن يقد ّر شعائر ا□ التي شرّعها حقّ قدرها، ويؤدّ ِيها حقّ الأداء، فإن ّ ذلك دليل على الإخلاص، وسلامة القصد.

وتأتي بمعنى الخشية والهيبة، كما قال تعالى: (و َإِيَّاي َ فَاتَّ َقَـُون ِ) (البقرة/ 41) أي: اخشوني وهابوني، وكذلك في قوله: (و َاتَّ َقُوا ي َو ْمًا ت ُر ْج َع ُون َ فيه ِ إِل َى ا∏ ِ) (البقرة/ 281).

تأتي بمعنى الطاعة والعبادة كقوله تعالى: (يَا أَيَّهُا الَّدَيِنَ آمَنهُوا اتَّعَهُوا ا∐َ حَقَّ تَعُد: أَن تُقَاتَهِ) (آل عمران/ 102)، يعني: اطيعوه حقّ الطاعة واعبدوه حقّ العبادة، وهو قول مجاهد: أن يُطاع فلا يُعصَى وأن يُذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا يُكفَر. تطلق على التنزه عن الذنوب وهذه هي الحقيقة في تعريف التقوى في الاصطلاح، قال عز وم َن ° م َن ° ي مُط ع ِ ا □ و َر َس ُول َه ُ و َي َخ ° ش َ ا □ و َي َ ت ّ ق ° ه ِ ف َ أُ ول َ ت َ ك َ ه م ُ ال ْ ف َ ال ْ ف َ الْ زُ ون َ) (النور / 52)، يتقه أي: يترك المعاصي والذنوب، فترك الطاعة والخشية ثم " ذكر التقوى فعلمنا أن "حقيقة التقوى شيء إضا في غير الطاعة والخشية في هذا النص وهو تنزيه القلب عن كل " قبيح، وكذلك ي ُقال في مراتب التقوى أو حالات التقوى: 1 ل اتقاء المعصية، وا □ عز وجل " ذكر التقوى أو حالات التقوى: 1 ل اتقاء الس ّ رك، 2 ل اتقاء البدعة، 3 ل الس ّ ع َل َ م الس ّ ذ ين آم َن ُوا و ع َم ل ُوا و مُ م ل ُوا و ع و م َل ُول الس مرات في آية واحدة، فقال سبحانه وتعالى: (ل َي ْس ع َل َ م الس ّ ذ ين آم َن ُوا و ع م َل ُوا الص ّ الله ت َال الس ّ الله ت َال قوى عن الس ّ الس ّ أول و آم َن ُوا و آم َوا و آم َن ُوا و آم َن ُول و آم َن ُول و أَم َن ُول و أَن و أَل و

وكذلك التقوى يدخل فيها كما تقد م الحذر من المكروهات والمشتبهات، فلا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مماً به بأس، ومن الناس م َن يتقي نفسه الخلود في النار، هذه همته، ولا يتقي المعاصي التي تدخله جهنم ولو حينا ً من الدهر فيقر ّ بالتوحيد ويصد ّق بالرسول (ص)، ويقول أنا م ُسلرَم، ويأتي بأركان الإسلام والإيمان لكن لا يحرص على أن يقي نفسه دخول النار بالكلسّية فيفرط في واجبات ويفعل م ُحر مات، فينبغي أن يعلم أي درجة من التقوى هو عليها، وهذا لا يستحق ماحبه اسم المتقي بإطلاق. لماذا..؟ لأن متعر ض للعذاب مستحق للعقاب بما يفعله إلا أن يتداركه ال برحمته ويدخل في المشيئة، لأن أهل التوحيد ممكن أن يدخلوا في المشيئة، أي يعفو ال عنهم وإن شاء عذ "بهم بحسب أعمالهم حتى يخرجوا من النار يوما ً من الأيام.

قال بعض أهل العلم: حقيقة (التقوى) تنزيه القلب والجوارح عن الذنوب، ألا ترى إلى قوله تعالى: (و َم َن ْ ي ُط ِع ِ ا □ َ و َر َس ُول َه ُ و َي َخ ْشَ ا □ َ و َي َت ّ َق ْه ِ ف َأ ُول َئ َك َ ه ُ م ُ ال ْف َا ئ ِز ُون َ) ذكر الطاعة والخشية ثم ّ ذكر التقوى فعلم بهذا أن ّ حقيقة التقوى غير الطاعة والخشية هي الابتعاد عن المعاصى.

وقد ذكر الرازي أنِّ لفظ التقوى يأتي أيضا ً بمعنى التوبة ومثل له، بقوله تعالى: (و َل َوْ أُنَّ َ أَهْلُ َ الْقُررَى آمَـٰدُوا و َاتَّ َقَوْا لـَفَـتَحْننا عَلَايهْهِمْ بَر َكَاتٍ مِنَ السَّيَمَاءَ و َالأرْضِ) (الأعراف/ 96)، أي: تابوا. ولم نجد غير الرازي من المفسرين من ذكر هذا المعنى للفظ (التقوى).

بقي أن نقول: إن ما ذكرناه من معاني لفظ (التقوى) في القرآن، وما سقناه من آيات تدل على هذا المعنى أو ذاك، لا يمنع أن يكون للفظ (التقوى) معنى آخر، فتعيين المفسّر لمعنى ما أمر عائد لما يرجحه من دليل، وقد يرجح غيره معنى آخر لدليل يراه، ولا حرج في ذلك، ما دام اللفظ يحتمل هذه المعاني، ويبقى في المحصلة أن معاني لفظ (التقوى) في القرآن تندرج في تلك المعاني الخمسة التي ذكرناها.

لكن هنا مسألة مهمَّة وهي فائدة العلم في قضية التقوى، لابدٌّ أن تعرف أوَّلاًّ ما هو الذي تتقيه؟

إن " مماً يجب أن تعلم أن تحقق التقوى يكون، بتعلّم أحكام الدّ ِين، تعلّم الحلال والحرام، وكذلك أن الإنسان من جهله قد يمتنع من حلال خالص ظنّاً منه أنّه حرام ولا يكون في هذا ورع ولا تقوى ولكن حرمان نفس بدون فائدة.

قال بعض أهل العلم: «إذا كنت لا تحسن تتقي، أكلت الربا، وإذا كنت لا تحسن تتقي، لقيتك امرأة لم تغض بصرك عنها، وإذا كنت لا تحسن تتقي، وضعت سيفك على عاتقك»، وهنا مسألة وهي أن ّ التقوى لا تصلح واستباحة الصغائر. فمسألة الاستصغار للذنوب التي تقع من كثير من الناس ويراها سهلة وليست بشيء، كذباب وقع على أنفه فطار، فإن ّ النبي ّ (ص) حذ ّر منها وشبهها بالأعواد التي يجمعها المسافر أو النازل في مكان فيجمع الأعواد فيوقد نارا ً فهذه أعواد ممكن أن توقد عليه نار جهناً فقال (ص): «إياًكم ومحقرات الذنوب».

ولفظ (التقوى) توارد في القرآن الكريم في ثمانية وخمسين ومائتي موضع، جاء في اثنين وثمانين ومائة موضع بصيغة الفعل، من ذلك قوله تعالى: (فَاتَّ َقُوا النَّ َارِ َ الَّ َتَـِي و َقُودُهَا النَّ َاسُ و َالـ ْحَـِجَارَةُ) (البقرة/ 24)، وجاء بصيغة الاسم في ستة وسبعين موضعاً، من ذلك قوله سبحانه: (فَا ِنَّ حَيْرَ الزَّاادِ التَّ َقْو َى) (البقرة/ 197) .